مشهد

يتجدد النقاش حول «جامع بريشتينا الكبير» المزمع بناؤه، ويتحول إلى موضوع خلافي بين أنصار «العمارة العثمانية» ومعارضيها في كوسوفو، التي لم يعد أردوغان لزيارتها منذ 2013 حين صرّح بأن «كوسوفو هي تركيا وتركيا هي كوسوفو». توجّه يعارضه سياسيون ومثقفون يتحفظون على «العثمانية الجديدة»

جدل العمارة والسياسة

جامع بريشتينا الكبير بين أنصار التصميم العثماني ومعارضيه

من مدينة بريشتينا (Getty)

محمد م. الأرناؤوط

بعد تحويل متحف آيا صوفيا في إسطنبول إلى مسجد في العاشر من تمّوز/ يوليو الماضي، وما أشاره ذلك من ردود أفعال داخل تركيا وخارجها، جاء المرسوم الصادر عن الرئيس التركي رجب طيب أردوغان في 21 آب/ أغسطس الماضي بتسليم «متحف تشورا» في القسم الأوروبي من إسطنبول لرئاسة الشؤون الدينية، ليثير النقاش والخلاف بين مؤيدي المرسوم ومعارضيه؛ فقد كانت «كنيسة المخلّص المقدّس» من أجمل الكنائس البيزنطية في القسطنطينية، وبقيت كذلك بعد الفتح العثماني حتى عام 1511 حين حُوّلت إلى مسجد، وبقيت كذلك إلى 1923 حين أغلقت، لتتحول لاحقاً إلى متحف بعد جهود مضنية لاستعادة الرسوم الفنية فيها.

وفي هذا السياق، بين أنصار «العمارة العثمانية»، التي تتحول في الخارج إلى «سياسة العثمانية الجديدة»، ومعارضيها، يمكن فهم التوتّر الذي يخفّ ويشتدّ من حين إلى آخر خلال 2012 - 2020 حول مظهر «جامع بريشتينا الكبير» في العاصمة الكوسوفية. وفي الواقع، يبدو لمَن يزور المدينة ويشاهد في مركزها كاتدرائية الأم تريزا، أنه في دولة بغالبية كاثوليكية وليس في دولة تمثّل أعلى نسبة للمسلمين في أوروبا (95%). وقد أثارت موافقة الحكومة الكوسوفية على السماح ببنائها وفق هذا التصميم في 2005 معارضة بعض المثقفين، بسبب أن بناءها كان يفترض هدم مدرسة ثانوية لها قيمتها التاريخية لعدة أجيال في العاصمة، كذلك فإنها وضعت المنشية الإسلامية (التي تمثل المسلمين أمام الدولة وترعى شؤونهم) في دائرة الحرج، لأن بريشتينا لا تزال تعتمد على ما بقي من جوامع من الحكم العثماني الطويل الذي دام نحو 500 سنة، مع أن عدد سكانها تضاعف أكثر من عشرين مرّة منذ نهاية الحكم العثماني، حتى إنه في صلاة الجمعة يصلّي المسلمون في الشوارع المحيطة بجامع السلطان محمد الفاتح الذي بُني في 1462. ومع تزايد الحرج، أعلنت رئاسة المشيخة الإسلامية في 2012، بعد افتتاح الكاتدرائية في 2010، موافقة السلطات المحلية (بلدية بريشتينا) على تخصيص قطعة أرض لبناء «جامع بريشتينا الكبير»، تبعد نحو 200 متر عن الكاتدرائية في الشارع الرئيس نفسه الذي يخترق بريشتينا من المركز إلى الجنوب، واعلنت بهذه المناسبة طرح مسابقة دولية لاختيار أفضل تصميم للجامع، بشرط أن يكون «أصيلاً». ومع هذه الحماسة، جرى في الثامن من تشرين الأول/ أكتوبر من العام نفسه احتفال كبير بوضع الحجر الأساس، شاركت فيه رئيسة الجمهورية عاطفة يحيى آغا، ورئيس البرلمان يعقوب كراسنيتشي، ورئيس الحكومة هاشم ثاتشي.

ومع أن رئاسة المشيخة مُحت إلى أن الجامع سيُبنى من التبرعات المحلية، إلا أن زيارة رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان لكوسوفو في 2013، وتصريحه المفاجئ في مدينة بريزرين (مركز ولاية كوسوفو العثمانية) بأن «كوسوفو هي تركيا وتركيا هي كوسوفو»، أشارا إلى موجة قوية من الاهتمام التركي بتجديد كل الآثار العثمانية الموجودة في كوسوفو، وانتهى إلى إعلان تولي رئاسة الشؤون الدينية في تركيا بناء «جامع بريشتينا الكبير».

ولكن هذا التوجّه لم يمرّ دون معارضة من بعض السياسيين المتحفظين على «العثمانية الجديدة» والمثقفين لاعتبارات مختلفة، وخاصة بعد أن تسربت إلى الصحافة في نهاية 2016 وبداية 2017 التصاميم المشاركة في المسابقة الدولية لشخصيات عالمية ومكاتب هندسية معروفة وتفضيل رئاسة المشيخة الإسلامية لنموذج عثماني كلاسيكي اختارته رئاسة الشؤون الدينية في تركيا. فقد تبيّن أولاً، أن المهندسة المعمارية العالمية الراحلة زها حديد، قد شاركت بتصميم «أصيل» لهذا الجامع، بينما كان التصميم المقترح يماثل جامع السليمية في مدينة أدرنة الذي يعود إلى القرن السادس عشر.

وهكذا بدأت في 2017 الدعوة إلى التوقيع على عريضة تحتجّ على التصميم المقترح الذي قد ينسجم مع بريشتينا القديمة (العثمانية)، ولكن ليس مع بريشتينا الحديثة، وبالتحديد في جوار مبنى الاتصالات بحيّ «ارادانيا» الذي يمثل «حداثة بريشتينا»، وقد عبّر وقتها عن هذه المعارضة الإعلامي المعروف ادريانيك كلمندي، بتصريحه «أنا مع بناء الجامع، ولكن ليس حسب التصميم الذي وقع الاختيار عليه، بل حسب التصميم الذي قدّمته زها حديد، أشهر مصممة في العالم». وقد تجدد النقاش والخلاف حول «جامع بريشتينا الكبير» في نهاية 2018 وبداية 2019، حين كشف رئيس بلدية بريشتينا عن أن المشيخة الإسلامية لم تقدم بعد طلباً رسمياً لبناء الجامع، لأنه يفترض أن يصحبه تصميم الجامع والمخططات الهندسية له. وفي هذه المرة، أخذ النقاش بعداً دولياً بعد أن نشرت جريدة «الغارديان» في الثاني من كانون الثاني/ يناير 2019 تغطية للموضوع بعنوان «هدية تركيا لبناء جامع تثير الخشية من العثمانية الجديدة في كوسوفو». ومع أن الجريدة نقلت رأي رئيس المشيخة الإسلامية نعيم ترنافا، بأن حاجة المسلمين في كوسوفو إلى الجوامع كبيرة في المدن والقرى، حيث «هناك 50 قرية من دون مساجد، بينما لا يوجد في أوروبا قرية من دون كنيسة»، إلا أن الجريدة نقلت أيضاً اعتراض المحتجين على «التصميم العثماني» للجامع، وليس على بناء الجامع نفسه. ومن هؤلاء كان المهندس المعماري أربر صادقي الذي قال إن إعلان المسابقة الدولية لاختيار أفضل تصميم للجامع كان ينص فقط على أن يكون «تصميماً أصيلاً»، ولذلك لقيت المسابقة استجابة واسعة وشاركت فيها ثلاثون شخصية معروفة ومكاتب هندسية دولية، ومنهم أسماء مشهورة مثل زها حديد. وبعد أن أكد المهندس صادقي أنّ «التصميم (العثماني)» الذي اقترحته المشيخة هو سياسي وليس معمارياً»، انتهى إلى السؤال: «إني أعرف بعض المهندسين الذين يصمّمون جوامع مثيرة للإعجاب في تركيا، فلماذا لا تكون بريشتينا في مثل هذه الخريطة؟». تجدر الإشارة هنا إلى أن المناطق ذات الغالبية الألبانية التي خضعت للحكم العثماني المباشر في منتصف القرن الخامس عشر عرفت في بداياتها بناء الجوامع السلطانية التي كانت تمثل «العمارة العثمانية الكلاسيكية»، ولكن بعد قرنين برزت نخبة محلية مالت إلى نموذج مختلف للجوامع يعبّر عن هوية محلية. ومن هذه الجوامع ما اشتهر خارج البلقان بعمارته التي تنسجم أكثر مع الوسط المحلي الألباني ورسوماته الجميلة الداخلية والخارجية مثل جامع أدهم بك في وسط العاصمة الألبانية تيرانا و«جامع الأختين» أو «الجامع الملوّن» في مدينة تيتوفو في مقدونيا الشمالية وغيرها.

(كاتب وأكاديمي كوسوفي سوري)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

> قبل تركيا موّلت دول الخليج الجوامع الجديدة في البلقان

> التصميم المقترح يماثل جامعاً في مدينة أدرنة من القرن 16

سوءال التمويل لا الهندسة

في الواقع يبدو الخيار بين التصاميم المقترحة (الصورة لمقترح المعمارية الراحلة زها حديد) مرتبطاً ببساطة بمن يموّل بناء الجامع، وبالتحديد بثقافة واجندة المموّل، ولذلك طالما ان التمويل من تركيا فالمموّل يفرض نفسه. ففيما «العثمانية الجديدة» كانت دول الخليج هي الممولة الرئيسة للجوامع الجديدة في البلقان بعد انهيار الأنظمة الشيوعية، وهو ما ادى آنذاك الى جوامع لا هي «عثمانية كلاسيكية» ولا هي «عثمانية جديدة».

تصويب

ساحة الجامعة

نجوان درويش

I

لكن ما الذي يجعل قدميك
تحملانك إلى حُجرات الجامعة
ما الذي تُريدُهُ مِنَ اللاتينية المَيْتة
مِنَ القانون والطبّ والهندسة
ما الذي تُريدُهُ من بُرْهَتِك القصيرة
حيثُ جَسَدُكَ قميصٌ
سُرعانَ ما تُبَدِّلُه لكَ الريحُ
ويَطْويهِ لكَ التُّراب.
ما الذي تُريدُهُ بِنْ مدافن الآلام هذه؟

- إنني مثل جميع النّاس
أبحثُ عن خُجْرَةٍ أدفِنُ فيها أَلمي.

II

أَمِنْ كلمةٍ أُخرى للقَداسةِ
غيرِ القوّة
أَمِنْ تسميةٍ أُخرى للقَداسةِ
سِوى السُّلطة؟

أكثرُ الرِّجال بأساً
أرادوا أن يُصبحوا قِدّيسين
وصاروا.
أقسى النساء تقوى
بِنْ قِدّيسات
يُتْشَفَّعُ بهنّ في اللّيل الحالِك

قِدّيسون أشدّاء يُمسِكون
بِخناق الأندلس
ويُحاضِرون في حُجرات الجامعة
أمّا أنا
- وأقسى أملي أنْ تَتَنَفَّسَ الأرضُ هواءً طليقاً –
فأسمّي الضّعيف قِدّيساً
أُسمّي الضّعيفة قِدّيسةً
وسُلْطتي أن لا سُلْطة لي.

(«ساحة الجامعة» Plaza de la Universidad في غرناطة)

إطلالة

البحث عن وقت

ممدوح عزام

في مقدمة كتاب مذكرات نيكوس كازانتزاكي «تقرير إلى غريكو» كتبت زوجته هيلين إنه اعتاد أن يقول لها: «أحسّ كأنني سأفعل ما يتحدث عنه برغسون - الذهاب إلى ناصية الشارع، ومد يدي للتسوّل من العابرين: زكاة يا إخوان. ربع ساعة من كلّ منكم». كان الوقت يتسرّب من حياة الكاتب، وهو يعلم أن أيامه تنتهي في الحياة، ولكن ما كان يريده إنما هو أن يتمكن من إنهاء العمل الذي يكتبه. «آه على بعض الوقت، ما يكفي فقط لإنهاء عملي، وبعدها ليأت شيرون» وشيرون أو كيرون بحسب الهامش الذي وضعه المترجم، هو ناقل أرواح الموتى إلى هيدس، أي إلى العالم الآخر. أذكر أن الرحلة من المدينة إلى قريتي، وهي مسافة تقارب خمسة وعشرين كيلومترا، كانت تستغرق في الستينيات، أكثر من ثلاثة أرباع الساعة، إذ كانت السيارة التي تقل الركاب عتيقة الطراز، مهترئة، بطيئة، وكنّا نشكو من ذلك البطء المريع، بينما كان آباؤنا يقولون لنا إنها سريعة جداً، قياساً إلى الوقت الذي كان يستغرقه الطريق من المدينة ذاتها إلى القرية، على ظهور الخيل، أو على ظهور الحمير، أو مشيا على الأقدام. وعلى الرغم من ذلك لم يكن أيّ واحد من بيننا يشعر أن الوقت يهرب من بين يديه، كان لدينا كثير من الوقت، بحيث إن السيارة العتيقة لم تستطع أن تسرق منّا سوى بضع دقائق، إذ لم يكن الوقت كلّه ذا قيمة. حتى أن الكثيرين من بيننا كانوا يسخرون من أولئك الذين يلتزمون بالمواعيد، أو يلومون من يتأخر عن الحضور إلى مكان ما بعد تحديد الموعد، متذرعين بأن الوقت «ببلاش» أي لا قيمة ولا ثمن. وإذا قارنا الحالتين، فإن لدى الروائي اليوناني فائضاً من العمل يحتاج من أجل إنجازه إلى فائض من الوقت، بينما كان لدينا، بعكسه تماماً، فائض من الوقت، ولا عمل يمكن للناس أن يملؤوا به تلك الزيادات.

لا يمكن للوقت الذي يبحث عنه الروائي أن يكون مقياساً للوقت العام بالطبع، غير أن المشاعر التي يحسّها الناس اليوم، وخاصة في السنة الأخيرة من هذا العقد تتحدث عن خسارة الوقت، بينما لا ترى أحداً يبحث عنه، أو يطلبه. فقد دمرت الحرب فرص العمل، وتحوّل عشرات آلاف الشبّان إلى لعب البلياردو أو التهريب، أو اللا شيء، بينما ينشغل الأكبر سناً في لعب الوقت، أو فيما يسمونه «تضييع الوقت». شيء ما في تعبير الناس عن الوقت يشبه إلى حد بعيد لوحة سلفادور دالي التي وضع فيها بضع ساعات سائلة لا ترغب في الزمن.

تكسر الحروب والأنظمة المشغولة ببقائها زمانَنا، أو تلغيه. وما يقال عن أننا نعيش في عصر السرعة مجرّد خرافة، إنه مجرّد استعارة فقيرة تدّعي الانتماء إلى العصر. فعالمنا في هذه البلاد شديد البطء، خامل، متكاسل. والتعبير عن ضياع الوقت، هو في الحقيقة تعبير عن ضياع الأهداف.

(روائي من سورية)

مساجد كوسوفو مرايا الهوية والمجتمع والدولة

مآذن لا تفصل الشرق عن الغرب

ما المسجد الذي يعبّر عن هوية البلقان اليوم؟ سؤال مرتبط بالتصالح مع تعدّد المكان وتاريخه، ويتطلّب نقاشاً ينخرط فيه معماريون ومفكرون ومؤرخون

محمود منير

في السنة الأولى للهجرة، أي بحلول 622 ميلادية، تداعى المسلمون لبناء أول مسجد في الإسلام في قرية قباء التي حمل اسمها، جنوب غربي المدينة المنوّرة، حيث شيّدوه من الحجارة والطين وأعلوا سقفه بسعف النخيل، وهي المواد الخام المتوفرة وقتها، وتتلاءم مع طبيعة المناخ الحار في المنطقة. توسّع «قباء» خلال الحقب الإسلامية المتعاقبة وصولاً إلى اليوم وتمّ استخدام مواد جديدة جُلبت من أقاليم أخرى وتطوّر تصميمه البسيط كذلك، وبعدّ مثالاً حيّاً على التغيّر المهول في عمارة المسجد من فراغ متسع لأداء الصلاة تُلحق به بعض المرافق المكملة، إلى فضاء يحمل رمزية دينية وحضوراً للسلطة وهويّتها السياسية.

تحضر هذه الخلفية مع انطلاق الجدل منذ سنوات عدّة حول تشييد المسجد الكبير بمدينة بريشتينا في كوسوفو، بين أنصار العمارة العثمانية الذين يحنّون إلى حكم الأستانة الذي استمر زهاء خمسة قرون في البلقان، وبين معارضيهم الذين يميلون إلى تصميم يعبّر عن «حداثة» المدينة بوصفها جزءاً من القارة الأوروبية، وإن كانت غالبيتها من المسلمين.

حالة من الاستقطاب تشير إلى اختلاف يمتدّ إلى نظرة الكوسوفيين إلى هوية المجتمع والدولة إلى حدّ ما، في محاولة لهيمنة عنصر من عناصر تاريخهم وثقافتهم المتعدّدة على الآخر، في تغافل عن بديهيات تتعلّق بالعمارة التي تخضع على الدوام لتبدلات وتغيّرات بحسب ما تمليه عوامل بيئية وأنثروبولوجية وجمالية أيضاً، وكذلك بحقائق تاريخية، أهمّها أن المساجد التي بناها العثمانيون كانت مزيجاً من عمارة محلية ومؤثرات شرقية معاً.

يقدّم مسجد سنان باشا في مدينة بريزرن، جنوب كوسوفو، والذي شيّده الأتراك سنة 1600، نموذجاً لعمارة مركّبة بين مؤثرات شرقية وغربية، ففي المرحلتين الأوليتين من بنائه صمّمت ثلاث قباب مغطاة بصفائح من الرصاص، ومدعومة بأعمدة صخرية، على أساس دائري، يقترب من العمارة الإسلامية التي تطوّرت عن نظيرتها البيزنطية. وفي المرحلة الثالثة، توسّع المسجد وفق الطراز الباروكي الذي انتشر في أوروبا، ويتضمّن الأشكال المنحنية والاستخدام المتقن والمعقد للأعمدة والمنحوتات.

ينسحب الأمر على مساجد أخرى في كوسوفو مع انزياحات قليلة شرقاً أو غرباً، لتمثّل تراكماً تاريخياً لمجموع الحضارات التي تعاقبت على المنطقة، وأن ظهور جوامع بطراز إسطنبولي أتى متأخراً في الدولة العثمانية نفسها، لتُبنى بعضها في البلقان بعد زمن طويل.

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

عامل يشارك في ترميم مسجد في بريشتينا عام 2012 (Getty)

شذرات

إن مذهب شعرية الارابسك هو المبدأ البنيوي والجمالي الاساسي، السائد دائما في الفن العربي الإسلامي، كما في الفن الشرقي الإسلامي عموما، خصوصا في الادب الذي هو شكل الفن الذي وجدت فيه العبقرية العربية والعربية الإسلامية تعبيرها الاكثر اصالة وقدرها الاكبر من الثقة المسوَّغة بالنفس.

اسعد دوراكوفيتش ـ «من الاستشراف الى علم الشرق»، ترجمة: عدنان حسن

الحلم الوحيد الذي يستحق ان تحلمه هو الذي يعيش معك طالما انت على قيد الحياة، ويموت فقط عندما تموت. ان تحب ان نكون محبوبين. الا نعتاد ابدًا على العنف. ان نلتمس السعادة في الاماكن الاكثر حزنا. ان تتبع الجمال الى مخبأه. الا تبسط ما هو معقد او تعقّد ما هو بسيط. وان لا تنسى.

اروندا تي روي ـ «ثمن الحيش»

إنّنا نتحدرُ ثقافيّا وبالتالي سلوكيّا بدرجةٍ خطيرة، والخوفُ غائيةُ - نتيجةُ لانعدام الثقافة - تَسودُ إلى درجةٍ تهدّدُ فيها باكتساح وجودنا كلّه. ومعَ وجودِ هذه الكَمّيات المُخيفة من البشرِ في هذا الحيّزِ الضيّقِ للوجود، فإنّنا ذاهبون الى كارثةٍ مُحقّقة...

يوسف إدريس ـ «اهمية ان تتلقف يا ناس»

الطريقة الوحيدة لكتابة الحقيقة هي افتراض ان ما تكتبه لن يُقرا ابدًا. ليس من قبل اي شخص آخر، ولا حتى انت، لن تقراها في وقت لاحق. والا فإنك ستبدأ في إعفاء نفسك. يجب ان تتصور ان الكتابة تظهر مثل لفافة طويلة تكتبها يدك اليمنى؛ ويجب ان تتصور ان يدك اليسرى تمحوها.

مارغريت اتوود ـ «القاتل الاعمى»